

## السيرة النبوية في كتابات المستشرقين؛

قراءة في كتب: "التصوف الإسلامي، تاريخ الشعوب الإسلامية، شمس العرب  
تسطع على الغرب، الشمس المنتصرة"

Biography of the Prophet in the writings of orientalist - Reading in  
books: " al-tasawuf alaslami, tarikh al-shoub al-islamia, tarikh al-shoub  
al-islamia, al-shams al-muntasirat "

الهاشمي مليك

جامعة لونيبي علي، البلدة 2 (الجزائر)، [Elhachemi.melik@gmail.com](mailto:Elhachemi.melik@gmail.com)

تاريخ الاستلام: 2022-06-11 تاريخ القبول: 2023-03-21 تاريخ النشر: 2023-05-05

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى تسليط الضوء على بعض المواضيع التي تتحدث عن السيرة النبوية في أربعة كتب مختلفة، يعد أصحابها من الكتاب المستشرقين وهذه الكتب هي: كتاب التصوف الإسلامي للكاتب المجهول صهيب الرومي وكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب للكاتبة زيفريد هونكه وكتاب الشمس المنتصرة للكاتبة أنا ماري شيميل، والمستقرى لكتابات المستشرقين ودراساتهم للحضارة الإسلامية عموما وللسيرة النبوية خصوصا، يمكنه تصنيفها إلى ثلاثة أصناف وهي: الاستشراق المستعلي، والاستشراق النقدي، والاستشراق المؤيد.

كلمات مفتاحية: السيرة النبوية، الاستشراق، صهيب الرومي.

**Abstract:**

This article aims to deal with some of the points that deal with talk about the Prophet Mohamed biography in four different books whose authors are considered orientalist these books respectively are: The Book of **al-tasawuf alaslami** by the unknown writer **Suhaib Al-Roumi** and **Carl Brockelmann's** book **tarikh al-shoub al-islamia** and the book **Shams Al-Arab tastae al-ghareb** by the writer **Sigrid Hunke** and the book **al-shams al-muntasirat** by **Anne Marie Schimmel**. Where it clearly shows that there are three Different Orientalist for writers and their studies of Islamic civilization in general and of the Prophet's biography in particular, that could be classify as follow: pro orientalist position, critical orientalist position, arrogant orientalist position.

**Keywords:** Biography of the Prophet, Orientalism, Suhaib Al-Roumi.

## مقدمة:

إن الدراسات الاستشراقية وإن كانت في ظاهرها عبارة عن رحلات علمية لاكتشاف العالم الشرقي بما فيه الإسلامي والعربي، إلا أنه يمكن إعطاؤها تعريفاً أكثر حداثة بوصفها عملاً استخباراتياً بمنظور علمي، الهدف من ورائه استكشاف العالم الشرقي وثقافته. ومع اختلاف التفسيرات التي قدمها الباحثون حول الاستشراق، إلا أنهم اتفقوا جميعاً على أنه محاولة لاستكشاف ومعرفة العلوم الشرقية والإسلامية بمختلف فروعها من قبل الأوروبيين والغربيين.

إن الاستشراق كنتاج فكري علمي، أسهم بدرجة كبيرة في اكتشاف ومحاولة الفهم والبحث عن الحقيقة فيما يتعلق بالعالم الإسلامي والعربي ديانة وتاريخاً وثقافة، إلا أن نقل الحقائق عن الآخرين بطريقة مغلوطة تسبب في تشويه تصور غير المطلعين على الحضارة الإسلامية. إن الباحث الحقيقي مطالب أن يكون موضوعياً في طرحه، فيعرض الموضوع على المتلقي بكل صدق، والصدق في حالتنا هذه يتمثل في عرض شروحات ومبررات الحضارة الإسلامية لنصوصها الشرعية – النص الشرعي المقدس بطرفيه: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة – وليس الاكتفاء بالنقد والبحث عن الزلل الذي لا ينجم عنه سوى التشكيك والتشويه.

لقد ظهر من بين كتّاب المسلمين من يُدين الاستشراق وكتّابه، ويرى أنهم مجرد أشخاص يحاولون تدمير الحضارة الإسلامية خصوصاً مع تناول المستشرقين الدين الإسلامي ونصوصه بالبحث والدراسة النقدية وتقديم التفسيرات والآراء، بما يتناسب مع خلفياتهم الإيديولوجية ومبادئهم العلمانية وأفكارهم المستحدثة حول تاريخ الدين، وسيرة حياة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم كان لها نصيب كبير من هذه الدراسات، رغم تناولهم لها – أي المستشرقين – من زوايا مختلفة تأرجحت بين التأييد والهجوم.

في هذه الورقة البحثية سنقف على أربعة كتب كعينة لأنواع الاستشراق، فرغم وجود من يهاجم الذات المحمدية الشريفة من خلال سيرتها فقد وُجدَ من يكتنّ لها كل الاحترام والتبجيل، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الكتب (المتناولة في الدراسة) لا تتناول السيرة النبوية بشكل مباشر، إلا أن قرأتنا لها يجعلنا نصنفها إلى توجهات معينة كانت هي بالذات نظرة المستشرقين إلى السيرة المحمدية، ففي بعض الفقرات وتحت بعض العناوين نجد هؤلاء الكتاب أشاروا للذات النبوية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهي ما استنتجنا من خلالها توجهات هؤلاء الكتاب ورأيهم في

الديانة الإسلامية وحضارتها بشكل عام ورأيهم في النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص، إضافة إلى كونه يصعب حصر المادة العلمية الموجودة في كتابات المستشرقين المتخصصة في السيرة النبوية ومعالجتها في مقالة واحدة. وعليه ومن خلال ما تناولناه وبناء على ما سبق فإننا سنحاول الإجابة على السؤال الآتي:

هل يمكن تصنيف المستشرقين إلى اتجاهات حسب مواقفهم من السيرة النبوية؟

### 1. كتاب التصوف الإسلامي لمؤلفه صهيب الرومي:

لقد قرأت ما كتبه صهيب الرومي والملاحظ أن الرجل كان ملماً وبدرجة كبيرة بالتصوف وبالفكر الصوفي ورجالاته المختلفين، وصراحة لم يسبق لي أن إطلعت على مصنف مختصر ومحيط بالتصوف وميادينه كما وجدت هذا الكتاب؛ إذ يعطي للقارئ المبتدئ في مجال التصوف لمحة مختصرة وشاملة، إلا أن ما شدني إليه إشارته إلى عقيدة الثالوث دون نقد لها، وتحديثه ضمناً عن العقيدة الإسلامية بأسلوب أقل ما يقال عنه أنه تشكيكي.

إلا أن ما شد انتباهي هو عدم إكماله اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بالصلاة والسلام عليه فهو يذكر اسم النبي مجرداً، والمعروف عند الصوفية أن الصلاة النبوية ركن أساسي من أركان الطريق، فالصلاة في جميع أورادهم - مع اختلاف طرائقهم ومشايخهم - تحوي صيغة معينة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ما يعطي انطباعاً أكيداً بأن الرجل ليس بمتصوف البتة أو أنه غير مسلم أصلاً.

إن الصوفي المتشوق في بداية طريقه الروحي يتوجب عليه الإكثار من الأذكار التي يأخذها على يد شيخه في الطريقة وعلى رأس هذه الأذكار الصلاة النبوية، حيث يكثر منها صباحاً ومساءً بعدد معين في وقت معين؛ وحتى يتخلص المريد من درنه النفسي وتعلقه بالحياة المادية وإهماله لجانبه الروحاني، عليه أن يداوم على أوراده ولا يهملها البتة. ومن أهم هذه الأذكار الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكن صهيب الرومي صاحب الكتاب لا يفعل! بل إنه ينتقد الذات المحمدية ولو بشكل ضمني فمثلاً يقول هذا الكاتب في إحدى صفحات كتابه: "نجد في حياة محمد نزعتين متباينتين: نزعة إلى الزهد ونزعة إلى السعي وراء الحياة. وقد روي عن محمد قوله: (ليس خيركم من ترك الدنيا للأخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه). فمحمد إذن

حث على العبادة والتقوى وكان قدوة في سيرته لأبناء ملته كما حث على اللذائذ المشروعة ولم يحرم نفسه منها" (صهيب، 2007، ص.90) وبصراحة لم يتوقف ذهني عن السؤال الذي لم أجد له إجابة إلى غاية كتابة هذه الورقة البحثية: من هو صهيب الرومي مؤلف هذا الكتاب؟!.

إن صهيبا الرومي كاسم معروف هو صحابي جليل، تم سببه حين كان صبيا من طرف الروم، حيث كانت إقامته في مدينة الأبله في الشمال الغربي للعراق، وكان أهله لأبيه عمالا لملك الفرس كسرى، وحين وقعت الحرب وهجم الروم على الأبله تم أسر صهيب وعاش فترة في بلاد الروم، ثم اشتراه رجل من العرب وباعه في مكة لعبد الله بن جدعان التيمي، الذي أعتقه فيما بعد، وقد صاحب صهيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه وكان من أوائل من أسلموا وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غزواته<sup>(1)</sup>.

في الصفحة 199 من كتابه "التصوف الإسلامي" وتحت عنوان "زهد الرسول محمد" أورد الكاتب الذي سعى نفسه باسم صهيب الرومي 23 رواية وجدها في الكتب التي تناولت السيرة النبوية، وكان على رأسها سيرة "ابن هشام" لعبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى سنة 218 هجريا)، وكتاب "الطبقات الكبرى" لأبي عبد الله محمد بن سعد (المتوفى سنة 230 هجريا)، وقد اعتبرهما الكاتب أقدم كتابين تناولوا موضوع حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما بعدهما عيال عليهما حسب وصفه، حيث يقر استشهادهما بهما أن الزهد متأصل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما أشارت الروايات التي نقلها عنها وأوردها بالترتيب.

وعلى النقيض من الموقف السابق وفي بدايات كتابه ينقل الكاتب في إحدى صفحات كتابه ما يلي: "وقبل أن يغمض محمد عينيه بعد وفاته مباشرة، تحول المبدأ السائد "الزهد" إلى مبدأ آخر، ففكرة الزهد في العالم حلت محلها فكرة فتح العالم التي يقود الدين المؤمنين إليها، إذ جاء عن محمد أنه قال: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله، تفلحوا... يذكر أن محمدا تحول من الزهد إلى

(1) الصحابي الجليل صهيب ابن سنان عاش في بداية إسلامه مستضعفا في مكة -نظرا لوحده وبعدة عن قومه وعشيرته- حيث لقي شتى أصناف العذاب، إلا أنه كان من أشهر الناس في مجال الرماية، حتى اشتهر بذلك، وقد تجلت بوضوح شهرته وبراعته، حين تبعته طلائع قريش يوم هجرته إلى المدينة، حين نثر كنانته أمامهم واستعد للرمي، وصاح مخيرا ملاحقيه بين أن يدعوه وشأنه ويدلهم على مكان أمواله المخبأة في مكة، أو أن يقذفهم بسهام فيقاتلهم ويقاثلوه فاخاروا الأموال، وقد تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب ببشارة كبيرة قائلا: "أبا يحي، ربح البيع ربح البيع" وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ سورة البقرة الآية 207 (لاحظ كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول).

الطمع في العالم، ففكرة الزهد حلت محلها فكرة فتح العالم" (صهيب، 2007، ص. 12) ولم يكتفي الكاتب بهذا النقد المسيء؛ بل إنه تعدى ذلك إلى ذكر الصحابة والتشكيك في نزاهتهم وإن كان كلامه يبدو في ظاهره مُجَرَّد نقد لحياتهم وحياة النبي صلى الله عليه وسلم، في جانبها المادي خاصة إلا أن حديثه لم يكن بريئاً، ونظرته كان يشوبها شك وريب. إذ يقول: "فالعبارات النبوية المحضنة، والأمانى المادية هي التي أمكنها أحياناً أن تشبع المساهمات الحماسية في نشر المحمدية، حتى أمكن أن يقال منذ الجيل الذي تلى عصر محمد أنه في هذا العهد ينبغي أن يعد كل عمل صالح عملاً له صيغتان: إنا كنا مع رسول الله تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم مالت بنا الدنيا" (صهيب، 2007، ص. 14) ويقول أيضاً: "وعن النظر إلى الأحاديث المحمدية القادمة في الرهبانية، ينبغي ألا يضرب عن البال مظهرها الجدلي المقصود به نقد الزهد في المسيحية" (صهيب، 2007، ص. 17).

إن هذا الكاتب الغامض الذي سعى نفسه "صهيبا الرومي" يجعل الباحث في حقيقة الأمر في حيرة، فرغم وضوح موقفه النقدي، إلا أن حقيقته تبقى مخفيه، وإن كنت لا أجزم بكون هذا الشخص من جنسية عربية أو أوروبية، إلا أن هذا الغموض الذي يحيط به، وأسلوبه في تناول الإسلاميات والسيرة النبوية يشبه إلى حد كبير أسلوب المستشرقين، ويبقى كونه مستشرقاً حقيقياً أم لا غير معروف بالنسبة للقارئ تماماً كحقيقة اسمه.

## 2. كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان:

لقد ارتدت حركة الاستشراق غالباً قناع البحث العلمي فيما يتعلق بالسيرة النبوية وإن لم تقدم الحقيقة الموضوعية بشكل دائم، وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن شروطاً ثلاثة لابد من توافرها لفهم السيرة النبوية؛ يمكن إيجازها في: الإيمان بالمصدر الغيبي، واعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق، والإحاطة بأدوات البحث التاريخي. إن غياب هذه الشروط أو بعضها قد أنتج منهجاً في البحث في السيرة عند المستشرقين أقام حواجز حالت دون فهم صحيح لأحداث السيرة، فهم في دراستهم للسيرة ونتائجها وأهدافها لا يخرجون عن أحد احتمالين يغدو من المستحيل معهما تحقق فهم صحيح للسيرة، فالمستشرق إما أن يكون علمانياً لا يؤمن بالغيب، أو أن يكون يهودياً أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة المحمدية (سعدون، 2010، ص. 79) وكمثال على ذلك المستشرق الألماني كارل بروكلمان.

لقد وصف كارل بروكلمان<sup>(2)</sup> في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" وادي مكة والآلهة المعبودة وصفا يشبه الوصف العلمي إلى حد كبير، إلا أن تطرقه للعقيدة الإسلامية وما أوحى للنبي صلى الله عليه وسلم بعيد كل البعد عن حقيقته الموضوعية، فهذا ما وصل إليه من خلال أبحاثه ودراساته وما نقل لنا منها! إلا أن تحري الدقة والصرامة في النقل، خصوصا لمن يجهلون الإسلام والمسلمين أمر لابد منه، حتى لا تقع أي مغالطات مهما كان نوعها؛ فمثلا يقول بروكلمان بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يرى في بداية دعوته أن يعترف بالآلهة المعبودة من طرف قومه ثم يرفضها فيما بعد، فمثلا ينقل نصا على أنه قرآن يقول فيه: "تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى" (كارل، 1968، ص.34)! وهذا النص ليس آية من القرآن الكريم، وإنما من الأحاديث الضعيفة المنكرة التي تتحدث عن سبب نزول الآية 52 من سورة الحج وتعرف بقصة الغرائيق، وقد أنكرها غالبية المفسرين والمحدثين كونها لا تستوفي شروط الحديث الصحيح، إضافة إلى تعارضها عقلا ونقلا مع النصوص المتواترة الصحيحة، فلماذا يصبر بروكلمان على إيرادها؟!

من الملاحظ لدى قراءة بعض الفقرات من هذا الكتاب أن المؤلف يتحدث بصفة تلميحيه، حيث لم يشرفها بصراحة وبكلمات واضحة المعاني والدلالة إلى الذات المحمدية بما يشينها، إلا أننا نجد أنه عدَّ النبي محمداً صلى الله عليه وسلم - حسب مقارنة قام بها ومعلومات اعتمد عليها لا ندري ما مصدرها ولا من أين أتت! - من بيت أقل شأنًا ومقامًا من بيوت سائر سادة قريش حيث لا تحظى عشيرته بني هاشم بأي امتياز، فهل كان عبد المطلب حافر بئر زمزم وسيد مكة في زمانه وأبنائه وأحفاده وخاصة النبي صلى الله عليه وسلم من بيت أقل شأنًا في قبيلة قريش؟!

تحت عنوان "العرب والإمبراطورية العربية" وهو القسم الأول من كتابه، يتحدث بروكلمان في مبحثه الأول المعنون بـ "بلاد العرب قبل الإسلام" عن العرب وعن الهمجية التي ميزتهم قبل الإسلام وأماكن تواجدهم وأحوالهم الاجتماعية، ثم يتناول في مبحثه الثاني حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشبابه ونشأته وتعاليمه التي جاء بها، والظروف التي أحاطت به، وإن بدا للوهلة الأولى أن بروكلمان لا ينكر أن ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه، ودور الصحابة بعده، هو ما جعل للعرب مكانة عالية نافست فيها الفرس والروم. إلا أنه بحكم خلفيته الإيديولوجية طبعا؛

(2) مستشرق ألماني ولد بتاريخ 17 سبتمبر 1868م وتوفي في 6 ماي 1956م، في مرحلة دراسته الثانوية بدأ تعلم اللغات الشرقية كالعربية والسريانية، درس على يد المستشرق ثيودور نولدكه، قدم رسالة دكتوراه بعنوان: عبد الرحمان ابو الفرج بن الجوزي: تلقيح فہوم اہل الآثار في مختصر السير والأخبار بحث في هذا الكتاب وفق مخطوط برلين، من أهم مؤلفاته: تاريخ الشعوب الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي (وللمزيد لاحظ موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي).



لا ينفك يحاول إيجاد نقطة الوصل بين الديانة الإسلامية من حيث المعتقد والتشريع والديانات السابقة السماوية والوثنية؛ في محاولة فهم المعتقد الديني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أجل تثبيت كيانه السياسي.

يبدو أن أمية النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن معروفة جدا عند بروكلمان وإن كانت كذلك فهو لا يراها بدرجة كبيرة، حيث ينقل في إحدى صفحات كتابه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دراية بالعهد القديم لليهود، لكن ليس بدرجة كافية، وهذا ما اتضح لاحقا حين الهجرة إلى المدينة والتقاءه بهم وتجاوره معهم، وهذا ما يوضحه بروكلمان بقوله: "لم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود، فالواقع أنهم على الرغم مما نعى لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية، كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية في حدة الإدراك. فالفجوات المختلفة التي تكشف عنها علمه بالعهد القديم والتي كان قد تركها عارية في السور المكية، لم يعد من الممكن أن تظل خافية عليهم، ولكن إشارتهم الساخرة إلى هذه الفجوات كانت أعجز من أن تززع إيمانه بصحة ما يوحى إليه". (كارل، 1968، ص.47)

تحت عنوان "محمد وتعاليمه" يستهل بروكلمان الكتابة بقوله "إن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مقسمة إلى مرحلتين أولها حياة كرسول ونذير إلى بني موطنه ثم زعيما سياسيا ورجل دولة موهوبا ذا طموحات عالية وهدف نهائي وهو السيطرة على بلاد العرب، ورغم الظروف والعقبات كصلح الحديبية إلا أن هذا لم يثنه على هدفه السابق، وقد كانت أحكامه السياسية يعلن عنها بوصفها جزءا من القرآن (أي جزءا من الوحي الإلهي المنزل عليه). حيث كان الأسلوب يتغير ليتلاءم مع المادة المتناولة، بينما ظلت القافية -وكثيرا ما كانت ضعيفة - علامة للأسلوب القرآني" (كارل، 1968، ص.68) هذا ما وصف به بروكلمان تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم.

إن القارئ للفقرة السابقة لن يتعجب كثيرا؛ فهذا الكلام قد يصدر من أي شخص ذي خلفية دينية مخالفة للإسلام، إلا أن ما يثير الحيرة والاستغراب تحدث بروكلمان عن لغة القرآن التي أعجزت فطاحلة العربية وشعراءها الذين تحداهم القرآن أن يأتوا بآية مثله فلم يقدروا، ليأتي بروكلمان ويصف قافية القرآن بالضعف، وهذا وصف يتضمن حكما ضمنيا بأن لغة القرآن عامة ليست بهذه القوة. فهل استطاع بروكلمان الألماني أن يتعلم العربية حتى استطاع أن يهزم شعراء

الطبقة الأولى ويأتي بكلام بلغة عربية أقوى من القرآن!؟ أم أنه فقط يتحدث بهدف التحدث دون إمام كبير بلغة القرآن الكريم.

لقد بنى المستشرقون وعلى رأسهم بروكلمان (كشخصية فذة تستحق الدراسة حقيقة، نتيجة للدراسات التي قام بها في الشرق، والتي بلغت الغاية من حيث الكم والكيف، وباعتباره أيضا محورا أساسيا في هذه المقالة) أطروحاتهم في الكتابة حول موضوعات السيرة النبوية على جملة من المغالطات التي لم تعتمد قواعد النقد العلمي ولا يقبلها المنطق السليم، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- المبالغة في الشك؛ فهم يُطلقون العنان لشكوكهم وافترضايتهم.
- اعتماد الروايات الضعيفة والشاذة وتقديمتها على أنها معروفة صحيحة.
- إسقاط الرؤية العلمانية وتأثيرات البيئة المعاصرة على الوقائع التاريخية.
- رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول نصرانية ويهودية (سعدون، 2010، ص.80).

### 3. زيغريد هونكه وكتايبها شمس العرب تسطع على الغرب:

إن المستشرقين وإن اختلفوا في تناولهم للحضارة الإسلامية بين مدافع ومهاجم، بين شاكر لها وناقم عليها، إلا أنهم اتفقوا على دورها في نقل المعارف والتراجم إلى الحضارة الأوروبية، فعلى النقيض من كارل بروكلمان ألماني الجنسية ونظرتة الحادة إلى الإسلام والعرب - التي يعززها شعوره بالتفوق الأوروبي - ظهرت زيغريد هونكه<sup>(3)</sup> الباحثة ذات الأصول الألمانية أيضا؛ التي عاشت لفترة كبيرة بين العرب وثقافتهم وتاريخهم لتقدم البراهين على فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا ونهضتها في كتابها الذي عنوانته بـ "شمس العرب تسطع على الغرب" ومن خلال تصفحنا لكتايبها نجد أن الكاتبة قسمت كتابها إلى مجموعة من الفصول ابتدأتها بذكر مشارب المسلمين وآثارهم المختلفة على العالم وأوروبا، وأنهته بتحدثها عن الأندلس باعتبارها نموذجا لحضارة المسلمين داخل أوروبا وسببا لتسرب العلوم الإسلامية في الداخل الأوروبي.

(3) من مواليد 1913م في ألمانيا، عرفت بدراساتها للأديان ودرست اللغة العربية والدين الإسلامي وأبدت إعجابها الكبير بهما، عاشت في المغرب مدة سنتين في مدينة طنجة وقامت بتأليف عدد من المؤلفات عن العرب والمسلمين أبرزها: شمس العرب تسطع على الغرب، الله ليس كمثله شيء، العقيدة والمعرفة وأثر العقيدة والمعرفة الإسلامية في الحضارة الغربية، توفيت عن عمر 86 سنة 1999م (لاحظ كتاب شمس العرب تسطع على الغرب).



لم تتحدث زيغريد هونكه في كتابها عن السيرة النبوية أو الذات المحمدية بإفراد، سواء  
كعنوان أو ك فقرات، فموضوع الكتاب يتحدث عن فضل المسلمين وحضارتهم على العالم الأوروبي،  
إلا أن العبارات الواردة فيه تحمل في طياتها الإشارات إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآل  
بيته تارة وإلى أصحابه تارة أخرى، ولا ينكر أحد اطلع على كتابها هذا، سعة معلوماتها وإحاطتها بكل  
ماله علاقة بالإسلام والمسلمين من تاريخ وديانة، حيث كثيرا ما نلاحظ استشهادها بالآيات القرآنية  
والأحاديث النبوية، حتى أنها تقدم تفسيراً لها بما يتناسب مع الموضوع الذي أوردتها فيه. ورغم كون  
مثل هذه الكتابات تصدر من شخصية غير عربية وغير مسلمة وذات أصول أوروبية؛ إلا أن مقدار  
الإحاطة ودقة الطرح ومعرفة الدقائق ناهيك عن التفاصيل يجعل كتابها أنموذجا منفردا للباحثين  
في الفكر الاستشراقي.

لقد أوردت هونكه في مؤلفها بعض الفقرات تتحدث فيها عن المرأة العربية وتاريخها المشرق  
في السلم والحرب والبطولة، وبعكس نظرة المسلمين أنفسهم السائدة حول المرأة في العصر  
الجاهلي؛ وضربت بعض الأمثلة لنسوة كن من خيار النساء لما قدمن لأزواجهن وأقوامهن من  
خدمات جليلة، فمثلا تقول في حديثها عن بهيسة بنت أوس ابن الحارث الطائي - بعد أن ذكرت  
قصة زواجها والأحداث التي رافقت ذلك الزواج، باشتراطها على زوجها الحارث بن عوف الصلح  
والتدخل في حرب عبس وذبيان - مايلي: "لقد ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما  
احتلتها في الجاهلية، ألم تكن خديجة زوج النبي الأولى، التي عاش معها أربعة وعشرين عاما  
وأنجب منها ستة أطفال، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها ؟ لقد كانت  
خديجة أنموذجا لشريفات العرب أجازلها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما".  
(زيغريد، 1993، ص.470).

وعلى نفس المنوال تطرقت هونكه إلى سيرة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى  
رأسهن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وفي وقوفها معه ومساندته في محنته ماديا  
ومعنويا، وإن كانت هونكه قد تقدمت بنقد مطول حول الانعزال الذي فرض على المرأة لاحقا؛ إلا  
أن ما يهمننا هو السيرة النبوية وما كتب حولها. إننا نجد أن الكاتبة تشير إلى أحاديث نبوية تحت  
على طلب العلم والسعي إلى تحصيله فمثلا تشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: طلب العلم  
فريضة، وقوله أيضا: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، والقارئ لهذا الكتاب سيستشعر لا محالة أن

هونكه تعتبر الذات المحمدية والهدي الذي جاء به مصدرا مباشرا وأساسيا للنهضة العربية التي انعكس نورها على القارة الأوروبية.

#### 4. أنا ماري شيمل وكتابها الشمس المنتصرة:

لم تكن زيغريد هونكه الوحيدة التي نظرت إلى الشرق نظرة بهذه الإيجابية؛ فقد لحقها من المستشرقين كثيرون، يمكننا أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر -كتدعيم لموقف هونكه وتأكيدا على وجود باحثين درسوا الحضارة الإسلامية بموضوعية واحترام -أنا ماري شيمل<sup>(4)</sup> لقد كانت مؤلفات شيمل أكثر رومانسية وشاعرية من غيرها؛ فقد تناولت الشعر، والأدب، والتصوف والتاريخ خاصة فترة الممالك، إضافة إلى اهتمامها بالشعراء ذوي الأصول غير العربية كجلال الدين الرومي وعمر الخيام وغيرهم.

لم تكن أنا ماري شيمل في هذا الكتاب تتحدث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنما كان كلامها وسبب تأليفها الحديث عن شخصية صوفية كبيرة لها وزنها في العالم الإسلامي، مع أن مؤلفات أنا ماري شيمل متنوعة الموضوعات ومنفردة في طرحها من حيث الأسلوب والمعاني خصوصا ما كتبه حول المشرق والحضارة الإسلامية، إلا أن هذا الكتاب -أي الشمس المنتصرة - يجمع بين شخصية جسدت العلمين على أرض الواقع: التصوف الإسلامي والسيرة النبوية.

في كتابها الشمس المنتصرة تقول أنا ماري شيمل عن جلال الدين الرومي - الشاعر التركي المعروف مؤسس الطريقة المولوية الصوفية التي تشتهر برقصتها الدائرية - وتعلقه بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم: "وعشق النبي محمد، المسمى بالاسمين التشريفيين أحمد والمصطفى، أحد الملامح البارزة للحياة الإسلامية على الجملة والتفكير الصوفي على نحو خاص، وكثيرا ما يلاحظ المرء العلاقة القوية للصوفية ومن ثم لجلال الدين الرومي بنبي الإسلام الذي يتعلق به تعلق أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما أمضيا معا ليلة في الغار في طريقهما من مكة إلى المدينة (أثناء الهجرة النبوية) فأمنن علاقة ممكنة لحبيب واثق وجدير بالثقة بقائد المؤمنين تكون نموذجا لعلاقة الصوفي بالنبي" (أنا، 2016، ص.461) وفي صفحة أخرى وتحت عنوان "النبوة

<sup>(4)</sup> من مواليد 1922 في ألمانيا لعائلة بروتستانتية بدأت تعلم العربية في عمر 15 سنة، انتقلت إلى برلين سنة 1939 م حيث بدأت دراسة الشرق، قدمت رسالة الدكتوراه بعنوان: الخليفة والقاضي في مصر في العصور الوسطى المتأخرة، وقدمت دكتوراه ثانية عن مصطلح الحب الصوفي في الإسلام، عملت كمدرسة في جامعة أنقرة وهارفرد، لها مجموعة من المؤلفات كالأبعاد الصوفية في الإسلام، الجميل والمقدس، روي أنثى وعنادل تحت الثلج، توفيت سنة 2003 عن عمر ناهز 80 سنة (وللمزيد لاحظ كتاب أنا ماري شيمل نموذج مشرق للاستشراق لثابت عيد).

في آثار مولانا" تنقل شيمل: "لقد تطور مفهوم نور المحمدي في النصف الأول من القرن الهجري وهو يشكل موضوعا لكثير من الدراسات العلمية للصوفية والحكماء الإلهيين إنه نور من نور الحق، متقدم على كل الأنوار المحدثه، وهو يتخلل الخلق كله، ولا يدع مجالا للظلمة" (أنا، 2016، ص.466). لكن أروع ما جسده شيمل كان في كتابها الذي أصدرته تحت عنوان "وأن محمدا رسول الله" حيث تجسد رؤيتها للذات المحمدية بالتفصيل الدقيق.

خاتمة:

إن القارئ للكتب الاستشراقية والباحث في تاريخ المستشرقين وسيرهم الذاتية، سيتيقن لا محالة من حجم الاهتمام الكبير الذي أولته أوروبا ممثلة في جامعاتها وباحثيها لدراسة الشرق وحضاراته، بمختلف ثقافته وحضاراته وعلى رأسها الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي. فالكتابات الاستشراقية وإن كانت في مجملها تحوي مجموعة هائلة من المعلومات عن الحضارة الإسلامية تاريخا وتشريعا، يبقى لزاما على روادها نقل المضامين بدقة وصرامة عالية إضافة إلى تحل عال بالموضوعية والبعد عن التحيز والنزعة الذاتية.

هذا التوجه موجود لدى البعض في كتاباتهم، حيث لا ينكر هذا من يقرأ لهم، إلا أن البعض الآخر لا يقر للإسلام والمسلمين بأي فضل، حتى أن أعمال العلماء المسلمين القدامى قد تعد هامشية أو غير ذات نفع عندهم، ناهيك عن السيرة النبوية التي تم تناولها كثيرا من قبل المستشرقين لكونها موضوعا أساسيا في فهم الديانة الإسلامية، حيث اتسمت هذه الأخيرة بكثير من الغموض، نظرا للغيبات الإيمانية التي تحيط بها من جهة، وخلفيات المستشرقين الباحثين فيها من جهة أخرى، ربما كان أهمها الإيديولوجيا الغربية بمختلف أشكالها سواء أكانت: المسيحية أو الشيوعية أو الرأسمالية.....هلم جرا. هذا ما سيسهم في صنع تصور منحرف حول السيرة النبوية في الكتابات التي سيقراها غير المتخصصين وخاصة الغربيين منهم.

واستنادا إلى ما سبق نقول: إن مواقف المستشرقين تجاه الحضارة الإسلامية والسيرة النبوية تحديداً تباينت بين ثلاثة مواقف؛ موقف يدعم الحضارة الإسلامية ويراهم بنظرة الإنصاف، ويقرب ما قدمته من إنجازات في شتى المجالات الحضارية والمدنية للعالم عموما ولأوروبا خصوصا، وهذا ما اتضح في كتاب زيغريد هونكه "شمس العرب تسطع على الغرب" الذي يدل عنوانه دلالة

صارخة على ذلك، وكتاب "الشمس المنتصرة" للكاتبة أنا ماري شيمل. أما الموقف الثاني فيتجلى في الانتقاد وتقديم بعض المفاهيم المنحرفة، ما يدفع كاتبه إلى تبني اسم مستعار له وهو "صهيب الرومي"، أما الموقف الثالث؛ فهو الرؤية المستعالية على الحضارة الإسلامية ومحاولة إظهارها وكأنها تحصيل حاصل لما سبقها من حضارات اعتبرت النبي محمد صلى الله عليه وسلم شخصية قيادية عادية كغيرها في التاريخ، ولو بعبارات ضمنية وهذا ما اتضح من مؤلف كارل بروكلمان "تاريخ الشعوب الإسلامية".

وبالقدر الذي يتوجب فيه على المستشرقين تحري الدقة العالية والموضوعية الصارمة في دراسة السيرة النبوية، والبعد عن الخلفيات الإيديولوجية والأحكام الجاهزة التي تهاجم التوجه المخالف دون تمحيص، فإنه يتوجب على القراء والباحثين في الفكر الاستشراقي؛ تحري الحذر الشديد في الأخذ عنهم وعدم التسليم لأطروحاتهم وأحكامهم إلا بعد التأكد من ثبات صحتها ومصداقيتها.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن سعد، محمد. (2001). كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: عمر علي محمد، (ط.1). مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
2. الرومي، صهيب. (2007). التصوف الإسلامي (ط.1). دار البيان، بيروت، لبنان.
3. بدوي، عبد الرحمن. (1993). موسوعة المستشرقين (ط.3). دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
4. بروكلمان، كارل. (1968). تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (ط.5). دار العلم، بيروت، لبنان.
5. عيد، ثابت. (1998). أنا ماري شيمل نموذج مشرق للاستشراق، تقديم: عمارة محمد، (ط.1). دار الرشد، القاهرة، مصر.
6. هونكه، زيغريد. (1993). شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: بيضون فاروق ودسوقي كمال، (ط.8). دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
7. ماسوك، سعدون. (2010). الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (ط.1). دار المناهج، عمان.
8. ماري شيمل، أنا. (2016). الشمس المنتصرة جلال الدين الرومي، ترجمة: عيسى علي العاكوب، (ط.1). دار التكوين، دمشق، سوريا.